

الفصل الحادي عشر

[صقر]

عندما خرج أمجد من مسكنه وجدني أقف قرب الباب أسد الطريق، وبصمت دلفت مسكنه فتراجع هو خطوات قائلاً بتعجب "ما الأمر؟ كنت لتوي قادمًا إليكم.." قلت وأنا أنظر من نافذته "ألا ترى أن الموضوع قد طال أكثر من اللازم؟ مرت عدة ليالٍ نقضيها مع ذلك الصقر في حديث فارغ.. متى سنمضي في مخططاتنا؟" قال مبرراً "ألا ترين أنه متشبت بنا كثيراً؟ لا يغادر إلا آخرنا ويصل أولنا.. فما الذي يمكننا فعله في هذه الحالة؟"

فقلت بضيق "بهذه الحالة سنتأخر كثيراً ولن نتقدم أبداً" فكر أمجد قليلاً وأنا أنتظر إجابته، ثم قال "سأبدأ تنفيذ جزء من الخطة الخاص بتهريب الأحجار ولا أحتاج مساعدة أحد في هذا.. وبعدها سنتحايل على الرجل ونحاول المضي في الباقي.." قلت بدهشة "وكيف تنوي فعل ذلك؟" قال بابتسامة "دعي الأمر لي.." قلت بحدة "لكن كيف ستفعل ذلك؟ أخبرني.." سمعنا الصوت البغيض خلفنا يقول "يفعل ماذا؟"

التفت خلفي لأجد صقر يقف قرب الباب يتأملنا بنظرات تحمل اتهاماً كبيراً، وأضاف "ما هو ذلك الشيء الذي لا يحتمل الانتظار حتى نجتمع لتحدثا فيه بكل سرية؟" فقلت وقد وصل بي الحنق لأقصى حد "ألا يكفي فرض نفسك علينا بهذه الطريقة؟ هل يجب أن تتدخل في كل حواراتنا حتى الخاصة منها؟"

ودفعته من طريقي وأنا أبتعد بخطوات غاضبة نحو مسكني.. لم أنو أن أبقى معهم الليلة وأنا متضايقه أشد ما يكون من كتمان أمجد لخطه الخاصة.. ما الذي يضره لو أفصح عن خطه واستمع لرأينا بها؟.. بالإضافة لوجود ذاك البغيض الذي يسبب لنا كل هذا التأخير.. لقد مللت المكان.. مللت الوجوه التي أراها كل يوم.. ومللت المعاملة التعيسة التي ألقاها كل لحظة..

انقطعتُ عن اللقاءات عدة ليالٍ، وبدأ أن أمجد في شغل شاغل بحيث لم يهتم بسؤالي عن السبب.. ويبدو أن أدهم أيضاً قد اعتاد على النوم مبكراً متجاهلاً لقاءاتنا المعتادة تاركاً أمجد وحيداً مع صقر وبسمة، والتي بعد يومين فضلت الابتعاد بدورها.. وبدأت تزورني في مسكني لتقضي بعض الوقت في أحاديث معتادة قبل عودتها لمسكنها.. لذلك كانت دهشتي شديدة عندما سمعت طرقاتاً خافتاً على الباب بعد انقطاع الأنوار بمدة طويلة.. تجاهلته وأنا أتساءل في سري عن هوية الطارق، فيما عاد الطرق مرة أخرى بنفس الخفوت والهدوء.. ولأن المساكن لا تحمل أي أقفال، فلا معنى للتوجس ممن يكلف نفسه طرق الباب بهدوء وتهذيب..

اقتربت من الباب وفتحته قليلاً لأرى أمجد يتلفت حوله بقلق.. ولما رآني قال هامساً "أسف لإزعاجك في هذه الساعة.. أيمكنني الدخول؟"

لم أجد سبباً يمنعني من ذلك، فلا معنى للخوف من الأقاويل أو سوء الظن في هذا السجن الكبير.. دلف أمجد وهو ينظر خلفه بقلق أشد ثم أغلق الباب خلفه وهو يقول بصوت خافت "أعلم أنه ليس من اللائق قدومي في هذا الوقت وبهذه الصورة، لكنه الوقت الوحيد الذي أتخلص فيه من ذاك اللزج دون أن أثير ريبته"

قلت بابتسامة وأنا أجلس على سريرى "هل اقتنعت أخيراً أنه بغض بكل الأشكال الممكنة؟" اقترب مني أمجد بدون تعليق ومد يده في جيبه ليستخرج خرقة بأسوأ حال ممكن، ووضعها في يدي بصمت.. فتحت الخرقة بدهشة لأصدم بمراى الأحجار السوداء المتفاوتة الأحجام وبعدد كبير.. نظرت له بدهشة وتساءلت "كيف استطعت فعل ذلك؟"

قال بتوتر "ليس هذا هو المهم.. هل تعتقدين أن هذا العدد يكفينا نحن الأربعة؟ أمن المفترض أن أحضر المزيد؟"

قلت وأنا أقلب الأحجار "المفترض أن نحصل على ما يزيد عن حاجتنا.. لنستخدمها عند الطواريء إذا ما زالت الطبقة التي استخدمناها وقت الهروب.. لكن كيف؟"

نظر أمجد من النافذة ليتأكد من عدم اقتراب أي شخص يمكن أن يتنصت على حديثنا، ثم تناول الخرقة مني وضمها بحرص شديد ليضعها في جيبه، قبل أن يجلس على الكرسي وكأنه استنفذ طاقته وقال زافراً "خطتي كانت مشابهة لما فعلته أنت في السابق.. استغللت حاجتهم لي لحمل المعدات من المنجم إلى المستودع في المساكن وبالعكس، فكنت أقوم بتهريب حجر صغير في كل مرة خاصة أنهم عادة لا يقومون بتفتيش علبة الأدوات بل يكتفون بتفتيشي.. وفي كل مرة أزيد عدد الأحجار حتى حصلت على هذه الكمية.."

قلت بابتسامة "رائع.. يلزمك القليل بعد حتى ننتهي من هذه النقطة.. لكن....."

صمتُ وأنا أزم شفتيّ مفكرة للحظات، ثم قلت "في محاولتي السابقة، فشلت في تعطيل السوار بسبب تافه عندما انسكب الماء على يدي وأزال تلك الطبقة.. ربما علينا أن نحاول استخدام الأحجار بطريقة أخرى"

سألني "هل تملكين فكرة محددة؟"

أجبتُه "أعطني حجراً متوسط الحجم وسأحاول بطريقتي الخاصة.. وغداً سأخبرك النتيجة" غمغم "حسناً.. أتمنى أن تكون الطريقة ناجحة.."

واستخرج الخرقه من جيبه وتناول حجراً أكبر من البقية.. ثم اقترب مني فمدت يدي لأتناوله.. عندها وجدته يضع يده المضمومة في راحة يدي دون أن يتخلّى عن الحجر وهو ينظر لي بصمت.. فرفعت بصري إليه بتعجب لأرى نظراته متماوجة المشاعر بوضوح رغم أنني لم أفهم منها شيئاً، ثم قال بخفوت "لا تنعزلي عنا طويلاً وتبقي بمفردك هنا.. أعلم أنك تبغضين ذلك الشخص، لكننا نضيق باختفائك أيضاً.."

خفضت بصري ودقات قلبي تتسارع لسبب مجهول.. لم أستطع النظر في عينيه تلك اللحظة، فاكتفيت بأن غمغمت "سأحاول.."

بدا أن الجواب أعجبه إذ قال بصوت بدا مبتسماً "رائع.."

وترك الحجر في يدي قبل أن يغمغم "تصبحين على خير.."

وغادر بهدوء كما جاء.. بينما بقيت أنظر للحجر الرابض في يدي التي تعرقت لشدة حرجي وللدماء

التي اندفعت بقوة في عروقي.. فتنهدت لأزيل ارتباكِي وهمست "يا لي من حمقاء.."

كنت بالفعل أتعجب من حماقتي وأنا أنفعل بهذه الصورة لأسباب تافهة.. والأفضل لي في هذه

الأوقات أن أركز تفكيري على الهدف الأكبر أمامي.. أو أن هذا ما أحاول إقناع نفسي به منذ فترة دون نجاح يذكر..

في اليوم التالي، كنت أتقدم من مجلسنا المعتاد تتبعني بسمة التي دهشت من قراري الانضمام

لأمجد وصقر.. فرأيت ابتسامة ارتياح ترسم على شفتي أمجد، بينما علت السخرية وجه صقر وهو

يعلق لدى رؤيتنا "مرحى.. أخيراً قررتما عدم تجاهلنا وتشريفنا بحضوركما الكريم؟"

قلت بجفاء "كنت سأحضر كل ليلة لولا وجودك هنا.."

قاطعنا أمجد لنكف عن التعليقات الجارحة "كنت للتو أتحدث مع صقر عن الطريقة التي يمكننا بها أن

نغافل الحراس.. ما رأيك يا حمراء؟ أتملكين حلاً مناسباً؟"
 قلت متطلعة في عيني أمجد "لقد وجدت حلاً بالفعل للمعضلة التي حدثتني عنها.. لكنني أخشى ألا
 تناسب الكل"

بدا الاهتمام في عيني أمجد وقد فهم تلميحي، بينما قال صقر بريية "أي معضلة تعنين؟"
 نظرت له قائلة بابتسامة "كيفية مغافلة الحراس عند الهرب.. ما بالك يا رجل هل فقدت ذاكرتك من
 جديد؟"

ظل صقر ينظر لي بريية، بينما أضفت وأنا أنظر لأمجد من جديد "الحل هو....."
 وقمت بتأليف خطة من وحي اللحظة لأقنع صقر بما قلته.. كانت خطة هزيلة وقد صرح لي صقر بذلك
 دون مداراة.. فكففت عن إجهاد نفسي وتركت لهما الحوار يديرانه بينهما دون تدخل مني أو من
 بسمة..

بعد ساعات طويلة، كان أمجد قد زارني في مسكني من جديد خلسة وهو يغمغم "ألا تخشين مما
 سيقوله الآخرون لو رأوني أتلسل لمسكنك كل ليلة؟"

قلت هازة كتفي "لو كنت أنت تخشى الأقاويل فالأفضل أن تغادر فوراً"
 صمت أمجد دون تعليق.. فتناولت من تحت سريري علبة عشائي الفارغة والتي نظفتها لأستخدمها
 كحماية، وفيها رأى أمجد عجينة سوداء صغيرة الحجم.. قربت العلبة من أمجد في إشارة صامتة،
 فلمس العجينة بيده ليجدها شبه قاسية وإن لم تتحجر تماماً.. ولدى نظرات التساؤل منه قلت مفسرة
 "طحنت الحجر الأسود باستخدام حجر عادي، ولم يكن ذلك صعباً فالأحجار السوداء هشة نوعاً ما..
 وعجنت غباره بقليل من الماء لأحصل على عجينة لينة.. فاستخدمتها لتغطية الحجر ذاته بها وتركتها
 حتى حصلت على هذه النتيجة.."

وقمت بتفتيت العجينة بشيء من القوة لأخرج الحجر الصلب من جوفها وأنا أضيف "أترى؟ إنها تغطيه
 بشكل ممتاز دون أن نواجه خطر زوالها بسرعة.. المشكلة الوحيدة هي أنها تحتاج لساعتين على الأقل
 حتى تجف.. وهو وقت طويل جداً في خطتنا"

غمغم أمجد "سنجد حلاً لذلك.. لكنها خطة عبقرية.."
 ووقف بصمت ينظر لي وأنا أنتظر أن يكمل حديثه، لكنه سرعان ما أدار رأسه وغادر قائلاً "سأتركك
 لترتاحي قليلاً.. تصبحين على خير"

علت شفتي ابتسامة تعجب من تصرفاته، ثم أغلقت الباب خلفه وارتميت على سريري أنشد بعض
 الراحة.. ها قد أنهينا خطوة في مخططنا.. وبقيت خطوات كبيرة لكننا سنجتازها كما أرجو دون
 عقبات..

في اليوم التالي، اقتربت من صقر قبل أن نجتمع معاً حيث وقف قرب مسكنه ونظرة لامبالاة بي واضحة في عينيه.. كنت أريد أن أعرف سبب بغضي له، وأريد التأكد من حكمي عليه.. أحقاً انجرفت لأهوائي وأطلقت عليه حكماً قاسياً؟ يجب أن أتأكد من ذلك الليلة..

فور اقترابي، بادرني بالقول بسخرية "ما الأمر؟ هل ستطلبين مني الابتعاد عنكم أنت أيضاً؟" خمنت أن من سبق وأخبره بذلك كان أدهم، لكنني لم أعلق وأنا أسأله "أخبرني.. لماذا أنت مصرّ على الهرب معنا رغم مخاطر ذلك؟ لقد جربت الفشل من قبل، وكن متأكداً أن عقابهم ليس شيئاً محبباً البته"

فقال بسخرية "إذن لماذا تعاودين الكرة مرة أخرى؟ لا تعامليني كأحمق رجاءً" قطبت بضيق لسخريته وعدت أسأله "ثم إنك تحاول دفع أمجد لإبعاد أدهم.. أترى أن لك حقاً في ذلك؟"

قال بحدة "لأنني أبغضه.."

فقلت بابتسامة لم أملكها "ألا تظن أن المشاعر تلك متبادلة بينكما؟ لكن هذا لا يعطيك الحق بإستبعاده"

اقترب صقر مني خطوة وهمس بحدة "اسمعي يا متذاكية.. لا يهمني رأيك أو رأي أي فرد من فريقك.. أنا سأهرب معكم، سواء شئت أم أبيت ذلك.. أخبري ذلك الضخم العنيف أن يتنحى من طريقي ولا يتعرض لي، وإلا سيلاقي ما لا يعجبه.."

تطلعت لعينيه لحظات، ثم قلت "أنا لم أخطيء الظن أبداً.. أنت بغيض حقاً" فضحك صقر قائلاً "حقاً؟.. يسعدني سماع ذلك"

غادرته دون كلمة أخرى وهو يضيف "لا تنسي إيصال الرسالة لذلك البغيض.."

لم أعلق بكلمة.. هل أخبر أدهم حقاً؟ لا أظن أن رد فعله سيكون محبباً..

مضى علينا أسبوع ونحن على هذه الحالة.. يقضي أمجد لياليه مجتمعاً مع صقر وأحاديثهما تدور في هراء لا ينتهي، واجلس معهما أحياناً استجابة لرغبة أمجد رغم أنني استتقل وجود ذلك الرجل..

لكن لا أعلم ما الذي يدفعني في بعض الليالي للتقدم منهما والجلوس قريباً وإن كنت أتلفع بالصمت متجاهلة أي سؤال أو تعليق من صقر..

أدهم طبعاً قد توقف تماماً عن الجلوس معنا، وكأنه يعلن اعتراضه على انضمام صقر بشكل سافر، بينما ظلت بسمة متذبذبة في قدومها إلينا..

وبعد انقطاع الأنوار بعدة ساعات، كان اجتماعنا الحقيقي يبدأ بغفلة من عيني صقر.. أحياناً نجتمع في مسكني أو مسكن أمجد.. ولم نكن نجتمع نحن الأربعة معاً إلا نادراً.. ومن لم يحضر يخبره الآخرون عما فات.. وضعنا خطة عامة عما سنفعله في الليلة التي سنهرب فيها، وحصرنا ما سنحتاجه من أدوات ومؤونة.. ما زال أماننا الكثير لكننا نمضي بخطى ثابتة مما كان يريحني..

ورغم أن اجتماعاتنا السرية لا تدوم طويلاً، إلا أنها كانت كافية لرسم دوائر سوداء تحت أعيننا لقلة النوم والتعب الشديد.. لقد تقلصت ساعات نومنا كثيراً وصار التعب لا يغادرنا.. وطبعاً لا يمكن أن يفوت ذلك عينا صقر الحادثتين.. حاول استجوابنا عدة مرات ليعرف سرنا، لكننا تجاهلناه في كل مرة مما كان يثير غيظه أكثر.. فيصّب جام غضبه على أمجد المسكين الذي يحاول تهدئته وتبرير أفعالنا بما يرضيه ويصرفه عنا..

وفي إحدى الليالي، وبينما كنت مع أدهم نجتمع في مسكن أمجد، تساءلت "متى تعتقد أننا جاهزون للرحيل؟ لقد طال بقاؤنا أكثر من اللازم"

أجابني أمجد "أعتقد أنه يمكننا البدء في مخططنا في أي ليلة.. المشكلة تكمن في وجود صقر.. إنه سيدرك الأمر فور بدء مخططنا وأنا لا أضمنه حقاً لأسمح له بالانضمام إلينا.."

قال أدهم "مهما حاولت إقناعنا فلن نرضى بقدومه معنا.. نحن لسنا مجبرين على تحمل مسؤوليته في هذا الهروب، وشخصيته البغيضة تمنعنا حتى من المحاولة"

فقال أمجد "إذن ماذا نفعل إزاءه؟"

تساءل أدهم "حدد لي يوماً لتنفيذ خطة الهرب ودع لي أمر صقر بعدها.."

قال أمجد "يمكننا البدء بعد الغد.. لازلت بحاجة لبعض العدة التي يجب أن أحضرها من المستودع.."

فقال أدهم "رائع.. دع لي كل شيء ولا تقلق"

سأله أمجد مقطباً "ما الذي ستفعله بالرجل؟ لا تفكر باستخدام العنف فقد يتم سجنك أنت في غرفة العزل عندها.."

قال أدهم "قلت لك ألا تقلق.."

وغادر المسكن بهدوء تاركاً أمجد وقد تزايد قلقه، فقلت له "أدهم ليس بأحمق لو كنت تظن ذلك.. كفّ

عن حمل همّ كل شيء في خطتنا هذه وامنحه بعض الثقة.."

زفر أمجد صامتاً للحظة، ثم نظر لي قائلاً "ألست خائفة؟"

تساءلت بدهشة "مم؟"

أجاب "من الفشل.. لقد خضت تجربة سابقة ونلت تعذيباً قاسياً عليها.. ألا يراودك خوف من العودة لذلك التعذيب من جديد؟"

هزرت رأسي نفيًا قائلة "لماذا تبصم على خطتنا بالفشل منذ الآن؟ أنا لا أخاف الفشل وما يتبعه من عواقب، لكنني أكره شعور الندم الذي سيراودني لو لم أستغل الفرصة المتاحة لي.."
ثم قلت بابتسامة "ولا تذكر الفشل مرة أخرى أو حتى تفكر فيه.. بسمة تكاد تموت ذعراً خوفاً من عواقبه، لذلك فهو غير وارد البتة.."
غمغم أمجد "سأحاول.."

ثم أضاف "قلنر ما سيفعله أدهم للتخلص من صقر.. وإن لم يعقنا شيء فسنبدأ خطتنا بعد غد بإذن الله.."

هزرت رأسي موافقة، ثم غادرت مسكنه بصمت رغم أنني أشعر بأن قدمي لا تحملانني.. أخيراً، أصبح لهروبنا موعد محدد.. وهذا أشد ما يسعدني الآن..

ما حدث في اليوم التالي كان أمراً لم نتوقعه.. إذ اقترب أدهم من صقر قبل انتصاف النهار في المنجم، ويبدو أن عمل أدهم قريب شيئاً ما من صقر، قائلاً "قائد الحرس الموجود خارج المنجم يطلبك.. ويتوعدك بالعقاب إن تأخرت.."

نظر له صقر شزراً قبل أن يقول بجفاء واضح "ولماذا أرسلك أنت ولم يرسل أحد الحراس؟"
قال أدهم بسخرية "اعذرني لأن قائد الحرس قلل من شأنك وأرسل لك شخصي المتواضع.. لقد استدعاني قبلك ثم وكّلتني استدعائك قبل عودتي لعملي"
ظل الشك واضحاً على ملامح صقر، وقبل أن يفتح فمه قال أدهم زافراً بحدة "لماذا أكلف نفسي إقناعك بالذهاب؟ إنه لمن أحب الأمور إلي رؤيتك تعاقب على لا شيء.."

وابتعد عائداً لعمله، فحسم صقر أمره وتوجه لمخرج المنجم.. ولم يفته النظر لأدهم بعد عدة خطوات خطاهن، فوجده يتحدث مع رجلين مثيري المتاعب، ووجهيهما يتلونان غضباً مع كل ثانية تمر وهما يرمقان أدهم بحنق شديد.. عندها غمغم صقر "يا لك من شخص مثير للمتاعب.. أتمنى أن يوسعاك ضرباً.."

واتجه نحو المخرج فلم يعثر على قائد الحرس.. تلفت حوله برهة بحيرة، ثم اقترب من أحد الحراس قائلاً "قائد الحرس يطلب رؤيتي.. فأين يمكن أن أجده؟"
تسائل الحارس مقطباً "قائد الحرس لم يأت اليوم.. من أبلغك بهذا الأمر؟"
قطب صقر بدوره قائلاً "أحد السجناء أبلغني بهذا قبل قليل.."
فقال الحارس بصرامة "لو طلبك قائد الجند لأرسل لك أحد الحراس بدل إرسال سجين.. عد إلى عملك فوراً"

استدار صقر عائداً لموقعه وهو يدمدم بغیظ "إذن كانت تلك خدعة من ذلك البغيض.. الويل له.."
قطع قوله اصطدامه بأحد السجناء، ولما رفع رأسه رأى الرجلين مثيري المتاعب إياهما واقفان ينظران له بأعين تطلق الشرر.. فغمغم على الفور "أنا أسف.."
قال أحدهما بلهجة جافة "الاعتذار لا يحل مشاكل الكون كلها يا هذا.."
نظر له صقر بدهشة، ثم فوجيء بأحدهما يقبضه من ثيابه ويجره خلفه وهما يتجهان لبقعة منعزلة من موقع عملهم.. ظل يحاول الإفلات وهو يقول "ما الذي تفعلانه؟ لماذا تجرني هكذا؟"
أوقفه الرجل وهزه قائلاً "ما الذي قلته لذلك الحارس؟"
أجاب صقر بدهشة "لا شيء.. كنت أسأل عن قائد الحرس.."
هزه الرجل بقوة أكبر قائلاً بحق "وما الذي تريده من قائد الحرس؟ أي وشاية كنت ستنقلها له؟"
تزايدت دهشة صقر وهو يهتف "لم أنقل أي شيء.. صدقني هو من طلبني"
أمسك الرجل وجهه بأصابعه بقوة ألمت صقر وهو يلفحه بأنفاسه قائلاً "من أخبرك عن الصندوق؟ من رآني وأنا أستلمه من الحارس؟"

قال صقر وهو يحاول دفعه بألم "عن أي شيء نتحدث؟ لم أعلم بأي شيء من هذا.."
قال الرجل بحدة "كف عن الكذب.. من أخبرك؟ أهو أحد الحراس أم السجناء؟"
صاح صقر وهو يلوح بيديه "أيها الحراس.. ساعدوني.. هذا السجين يثير الشغب.."
التفت إليهم أقرب الحراس صائحاً "ما الذي تفعلونه؟"
فوجيء صقر بلكمة على فكه كادت تكسر أسنانه قبل أن يرفعه الرجل قليلاً ويرميه أرضاً بقوة.. تأوه صقر بألم قبل أن يحاول النهوض والفرار.. لكن الرجل اقترب وركله بقوة قبل أن يجلس على صدره ويلكمه قائلاً بغضب "أيها الحقير.. تظنني سأصمت على وشايتك أيها الفأر الجبان؟"
تلقي الرجل ضربة قوية على رأسه من سلاح الحارس، لكنها لم تفقده وعيه وهو يقف مزمجرًا ويتقدم تجاه الحارس بعينين حمراوين.. فتكالب عليه ثلاثة من الحراس وهم يضربونه ثم قيدوا يديه.. أما صقر فقد كبله حارس آخر وهو يهتف بفم مليء بالدماء "أنا لم أفعل شيئاً.. هو من تهجم علي.."

ضربه الحارس قائلاً بصرامه "كف عن الصراخ.."
 تلفت صقر حوله هاتفاً "اسأل بقية السجناء.. الكل شاهد على...."
 التقت عيناه بعيني أدهم الذي كان وجهه يحمل ابتسامة ساخرة ويقف معقود اليدين يتفرج على ما يجري.. فقال صقر بذهول وهو يتذكر كل ما حدث هذا اليوم "أهو أنت؟"
 ثم صرخ بالعربية وهو يقاوم الحارس "أيها الحقير.. أنت خططت لهذا؟.. أيها الوغد.. أيها النذل.. سترى.. سترون جميعكم.. سأنتقم.. حقاً سأنتقم.."
 قيده الحارس قبل أن يجره خارج المنجم، بينما تكالب الحراس الثلاثة على الرجل الآخر يقودونه خارجاً وهو يقاومهم.. أما رفيقه فقد تراجع منذ قدوم الحراس واختبأ بين السجناء مفضلاً السلامة.. وفي تلك الليلة، اجتمعنا في موقعنا لتغلبنا الدهشة لغياب صقر غير المعتاد.. وازدادت دهشتنا برؤية أدهم الذي اقترب منا بخطوات هادئة مانحاً إيانا ابتسامة تدل على سرور عميق.. وبسؤالنا إياه عن سبب الابتسامة فإنه قصّ علينا ما حدث اليوم في المنجم، ومع كل كلمة كان السرور يتزايد في صوته وفي ملامحه وكأنه مستمتع بكل ما يجري..
 ولم يكد ينهي جملته حتى هتف أمجد "لم فعلت ذلك أيها الأحمق؟"
 قال أدهم بهدوء "خلصتكم منه.. أليس هذا أفضل من تحمل سخافاته؟"
 صاح أمجد "أفضل؟ لن يلبث في السجن إلا ليلة واحدة.. وغداً سنجده أمامنا بكل غضبه وحقده.. فبم أفادنا هذا؟ لقد أخبرتك أننا سننفذ خطتنا ليلة الغد.."
 قال أدهم ببساطة "الحل الوحيد هو البدء الليلة.. ولا أرى ما يمنع ذلك"
 قال أمجد بغير تصديق "الليلة؟ أنت تمزح.. الخطة يجب أن تنفذ غداً.. لا يحق لك أن...."
 قاطعه أدهم قائلاً "لماذا؟ ألسنا مستعدين؟ ما الذي يجبرنا على التأخير فقط لتشعر براحة نفسية لالتزامك بالخطة؟"
 احتقن وجه أمجد وهو يواجه تعليقات أدهم الصارخة للمرة الأولى، ثم قال بشدة "لا زلنا نواجه خطر وشاية صقر.. ألم تظن أنه أدرك عزمنا على الهرب في الليلة التي سيقضيها في العزل؟ لقد فهم اللعبة التي قمت بها، ولا يحتاج الأمر لعبقرية لتحليل الموقف.."
 قال أدهم بهدوء "وهذا ادعى للإسراع بإتمام الخطة"
 ظل أمجد ينظر لأدهم بغير تصديق لدى هدوءه وبروده إزاء أمر حاسم كهذا.. ويبدو أنه لم يتوقع أن يعالج شخص ما موقفاً حساساً كهذا بكل ذلك الكم من الإهمال واللامبالاة كما يراها.. أما أنا فقد أعجبني هذا الحل فقلت مساندة لأدهم "أنا أرى ألا داعي للإبطاء أكثر من هذا.. نحن مستعدون.. فلنمض في مخططنا وندع مخاوفنا خلفنا.."

زفر أمجد بحلق شديد وهو يغرق بأفكاره، بينما صمت أدهم تماماً ونحن معه بانتظار ما سيستقر عليه من رأي رغم عدم شكنا بالنتيجة.. ثم رفع رأسه إلينا وقال متنهداً "القيام بالخطه الليله خير من مواجهه غضب صقر غداً.."

هتقت بسعادة "رائع.."

نظروا لي بدهشة وتعجب، فدمدمت وأنا أخفض وجهي "كنت بانتظار هذا اليوم منذ مدة.."

علق أدهم مبتسماً "بدوت كطفل على وشك زيارة متجر الحلوى.."

احتقن وجهي بحلق.. هل بدوت بتلك السعادة الطفولية؟.. أما أمجد فقد قال "نعد لمساكننا ولنلزم الهدوء.. حاذروا أن تستسلموا للنوم مهما كنتم متعبين فلا نملك الوقت الكافي لإيقاظ من نام.. وعندما تشعرون بالإشارة المتفق عليها نفذوا الخطه دون إبطاء.."

هزنا رؤوسنا موافقين.. هذه هي الليله الموعوده، ويا لها من ليله..

قبل أن نفترق، اجتمعنا في غرفة أمجد الذي كان قد جهز الأحجار بحوزته في اليوم السابق وحوّلها لعجينة شبه لينه.. فقام بتوزيع أجزاء من العجينة على سوار كل منا وهو يقول لنا "حافظوا على الماده حتى تبدأ بالتبیس بعد ساعه لتكون أكثر ثباتاً بالأساور.. غطوها بأكمامكم حتى لا يلمحها أحد ويبدأ بالتساؤل.."

انتهى من سوار أدهم الذي غادر بعدها على الفور، فاندفعت بسمة بعده لتنتهي أمر سوارها ثم لحقت بأدهم كي تضمن وجوده حتى تصل لمسكنها بأمان.. وأخيراً جاء دوري فمددت يدي لأمجد الذي أمسكها وبدأ يلطخ سوارى بالعجينة السوداء.. ولما ساوى الماده على السوار الذي اختفى اللون الأبيض منه تماماً، جذبت يدي من يده لكنه شدّ عليها بيده دون أن يرفع بصره أو يتفوه بكلمه.. ظللنا صامتين للحظات وأنا أشعر بالحرارة تكاد تخنقني.. أهذا بسبب تدافع الدماء في خدي؟.. كما أن يدي قد أصبحت حارة جداً في يده وأنا أشعر بحريق من ملمس أصابعه.. ووددت أن أبتعد عنه على الفور ليعود لي هدوءي.. ولما طال صمته سألته مقطبة وأنا أداري انفعالاتي "ما الأمر؟"

ظل على صمته وإن أطلق تنهيدة حارة.. فقلت "أهناك ما يقلقك؟"

قال بهزء "ما يقلقني؟ كل شيء يقلقني.. بدءاً من هربنا وعواقبه الوخيمة خاصة مع ضعف إمكانياتنا، وليس انتهاءً بقلقي عليك وعلى الآخرين.."

فقلت متعجبة "أنت من طرح فكرة الهرب هذه المرة دون تدخل من أحد.. فلماذا الندم الآن؟"

قال زافراً "كلما اقترب الوقت شعرت بفداحة ما اقترحت.. أخشى العواقب وأخشى الندم الذي قد يلاحقني بقية عمري.."

جذبت يدي من يده وربت على كتفه قائلة "أنت لم تدفعنا لفعل شيء ضد رغباتنا.. فمهما حدث لأي

أحد منا لا تجعل الندم يتسلل لنفسك أبداً.."
لم ينظر لي أمجد منذ بدء حديثنا لكن شعرت أنه أهدأ حالاً، فتراجعت وأنا أقول "سنكون بانتظار
إشارتك.."
وخرجت من المسكن قبل أن يستوقفني.. لو كان الأمر بيدي لابتعدت أمتاراً عدة عن أي موقع يتواجد
فيه أمجد.. هرباً من تلك المشاعر الغريبة التي تنتابني في وجوده، وهي أكثر ما أكره في هذا
الكويكب ولا أعلم السبب..

بيد مرتجفة، أمسكت الهاتف المحمول ذو اللون الملفت والزينة اللامعة التي تتدلى منه..
شعرت بباطن يدي يتعرق من فرط التوتر، لكنني استجمعت شجاعتي وأنا أضغط على الرقم الذي
أحفظه عن ظهر قلب..
استمعت للرنين الذي طال وتوتري يزداد، ولما حصلت على إجابة من الجانب الآخر، لما سمعت الصوت
الذي يذيب أعماقي، حاولت التغلب على جفاف حلقي وأنا أهمس "حبيبي.. هل أنت غاضب مني؟"
سمعت زفرة متمللة في الجانب الآخر، وقبل أن أسمع ما قد يسبب لي التعاسة سارعت لأقول "أنت
تعلم أنني سأفعل أي شيء لأرضيك.. فلم لا تقتنع بأنني لا أستطيع تحقيق ما تطلبه مني؟"
وأضفت بصوت مرتجف وكأني أحاول استمالة مشاعره "أنت تعلم أنني أحبك.. أليس كذلك؟"
سمعت الصوت الذي أحبه يخاطبني ببرود لم يفتني "ليس هذا ما أريد سماعه"
صمّ أذني ضجيج إغلاق السماعة، فعضضت شفتي بيأس، قبل أن أهرع لطلب الرقم من جديد
بانتظار إجابة لم أحصل عليها..
اتصلت مرة ومرة ومرات عدة حتى وجدت أن الهاتف الآخر قد تم إغلاقه، عندها لم أملك دموعي وأنا
أنهه بعجز ويأس.. هل انتهى كل شيء بهذه البساطة؟..
أليس من وسيلة لاستعادة حبه من جديد؟ أنا مستعدة لأفعل أي شيء.. أي شيء قد يضمن لي
استعادته واستعادة حبه قبل أن أخسره..

ما لم نعلمه ونحن ماكثون في مساكننا بصمت بانتظار الإشارة.. أن صقر كان يدور في غرفة العزل

بتوتر شديد وحنق أشد وهو يدمدم "الويل لهم.. الويل.."
فتح باب الغرفة في تلك اللحظة ليواجهه النور القوي مقارنة بالظلمة الداكنة في الغرفة.. فأغمض عينيه
لثوان قبل أن يفتحهما وينظر لقائد الحرس الذي وقف بغير صبر أمامه قائلاً "حسناً.. ما الذي جعلك
تلج لرؤيتي؟ الأمر متعلق بهروب كما سمعت.."
قال صقر بلهفة "نعم.. هناك من ينوي الهرب.. الليلة بالتأكيد، فقد سعوا لتوريطي بدخول العزل
لإبعادي وضمان صمتي.. أوقفوهم قبل أن ينجحوا"
رغم الاهتمام البادي في عيني القائد قال بهزء واضح "ينجحوا؟ أهذه مزحة؟"
هتف صقر "كلا.. هذا مؤكد.. فمعهم تلك الفتاة التي سبق لها الهرب ونجحت في ذلك لفترة من الزمن..
تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر"
تزايد الاهتمام في عيني القائد وهو يقطب مغمماً "أجل أذكرها.. وكيف عرفت بالأمر؟"
أجابه صقر بسرعة "تنصتُ على حديثهم فهم يتحدثون العربية وأنا عربي.. ولما أدركوا أنني عرفت
بأمرهم دبوا لي هذا المكيدة ليتخلصوا مني"
سأله القائد بصرامة "وماذا تعرف بعد؟"
قال صقر بلهفة "هناك حريق.. يبدو أنه جزء من خطة هربهم فقد سمعتهم يذكرونه عدة مرات.. لا
أعرف تفاصيل كثيرة فقد كانوا يخدعونني بخطط كاذبة"
فقال القائد "كم شخصاً هم؟ هل تستطيع إخبارنا بهوياتهم؟"
قال صقر "هم رجلان وامرأتان.. إحداهن تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر.. وأحد الرجلين هو ذلك
الضخم أسمر اللون والقوي البنية.. إنه يملك قبضة قاسية ولكمته مؤلة"
قال القائد بسخرية "أجل.. أذكرها فقد جربتها فيما مضى.."
نظر صقر له بدهشة، فقال القائد بحدة "هل تعتقد أن وصفاً مثل هذا يمكن أن يوصلنا لأي شيء؟"
قال صقر بارتباك "إنه.. إنهم يطلقون على أنفسهم أسماء.. لكن لا أتوقع أن تعرفوهم بها.. ولا أعرف
أرقامهم التسلسلية"
فقال القائد وهو يبتعد "سنرسل لك صور كل سجناء المسكن الذي أنت فيه وأريد منك تحديدهم"
هتف صقر قبل أن يغادر القائد "لا وقت لهذا.. إنهم سينفذون مخططهم الليلة.. عليكم أن تنتبهوا لأي
حريق في المساكن.. لا تدعوهم يستغلونكم ويفلتوا بفعلتهم.."
لكنه وجد الباب يغلق في وجهه علامة إنهاء الحوار..
